نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة

للدكتور عبد الوهاب أبو النور

تناولنا في مقال سابق (١) مقدمات وتعريفات التصنيف والحاجة الى وجود خطة عربية للتصنيف ، وأوضحنا أن الخطوة الأولى في اعداد خطة التصنيف هي تحديد ماهي الأقسام الرئيسية ، ثم ترتيب هذه الأقسام الرئيسية ، ودللنا بشواهد واستقراءات جمعناها على أن ترتيب الأقسام الرئيسية يرتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الفكرية عند أمة من الأمم ، وانتهينا الى أن لكل أمة خصوصياتها في التصنيف . فالتصنيف تابع للحياة العقلية للأمة التي يوجد عندها والعصر الذي يوجد فيه .

ونواصل في المقال الحالي الحديث عن الحياة العقلية للأمة الاسلامية لنصل من ذلك الى تحديد الأساس الشكري الذي يجب أن ترتب عليه أقسام الخطة العربية للتصنيف في اطار ما أسميناه بالنظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة ، فنبدأ بمقارنة التصنيف بالفلسفة الاسلامية للعلوم والآداب في ١٧٩٥ استتبع ذلك مناقشات خاصة بتصنيف مكتبة المعهد . وقد رأى كامي Camus أن الثورة الفرنسية قد أدت الى تغيير المجتمع الى مجتمع علماني Secular بعد أن كان مسيحيا ، ولذلك عارض وضع المسيحية على راس التصنيف وهي الطريقة التي كانت متبعة من قبل !!

وهكذا ، فلو مضينا نتتبع التصانيف عند الأمم المختلفة فسوف نجد أن لكل أمة ولكل عصر خصوصياته في التصنيف ، ومن يدري ماذا عند الأمة الصينية أو اليابانية وغيرهما . فالتصنيف تابع للمعرفة والفكر والحياة العقلية للأمة والعصر . ولكل عصر نكهته الخاصة .

الفلسفة الاسلامية :

اذا صح أن التصنيف مرأة تنعكس عليها الحياة العقلية للأمة ، فاننا في محاولتنا وضع أساس علمي للتصنيف العربي ينبغي أن نتعرف على المناخ العقلي والفكري للأمة الاسلامية ؛ بمعنى محاولة التعرف على الاتجاهات الفكرية عند المسلمين · وأن ما يعبر من هذه الاتجاهات بصدق هو دراسة الفلسفة الاسلامية ، فالفلسفة هي عقل الأمة · وان موقف الباحثين من الفلسفة الاسلامية هو الذي يوضح هذه الاتجاهات ·

ويمكن القول أن هناك أربع مدارس كبيرة في دراسة الفلسفة الاسلامية والنظر اليها :

١ ـ مدرسة تضم أغلب المستشرقين الأوربيين وعددا من التابعين لهم من الباحثين العرب · وترى هذه المدرسة أن الفلسفة الاسلامية تخلو من كل ابداع ، وأنها لم تأت بجديد ، وأنها هي الفلسفة اليونانية في ثوب عربي ، أي أنها مذاهب اليونان قد ترجمت الى لغة العرب ، وأن العرب قد قاموا بدور الناقل الأمين لهذه الفلسفة دون أن يضيفوا اليها شيئا · بل غالى بعضهم مدفوعين بتعصب ديني وجنسي الى حد القول بأن العرب الذين انحدروا عن جنس سامي لا يستطيعون أن يبتكروا فلسفة جديدة ، وأن الدين الاسلامي الذي كان يعتنقه فلاسفة الاسلام يعوق حرية الفكر وطلاقة النظر (٢) ·

ويرى هؤلاء أن الفلسفة الاسلامية ما هي الا فلسفة الفلاسفة : الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ·· الخ · ممن عرفوا بفلاسفة الاسلام ، وحاولوا بمنهج مقارن أن يبينوا التطابق التام بين مايسمى فلسفة اسلامية وفلسفة يونانية قديمة ، وأن يردوا الأولى الى الثانية · اي أن أصحاب هذه المدرسة قد قصروا بحثهم في الفلسفة الاسلامية على طريقة يونان ولم يتعدوها (٣) ·

٢ ـ المدرسة الثانية تنتصر لفلاسفة الاسلام هؤلاء ، ولكنها ترى أن فلسفتهم التي بدأت متابعة لفلسفة يونان لا تخلو من عناصر أصالة وابتكار أضافوا بها الى رصيد الانسانية من الفلسفة · وتنتصر هذه المدرسة للمذهب العقلي وتفضله على مناهج الأصوليين والمتكلمين · وترى أن فلاسفة الاسلام في محاولتهم التوفيق بين المعتقدات الدينية الاسلامية وبين فلسفة يونان كانوا أقرب الى روح الاسلام من المتكلمين من أمثال الأشاعرة · ويمثل هذه المدرسة المرحوم الدكتور محمود قاسم أستاذ الفلسفة الاسلامية بدار العلوم بالقاهرة ·

٣ ـ المدرسة الثالثة ، وهي التي وضع أصولها المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق . وهو يرى أن الفلسفة الاسلامية الحقة تلتمس في كتابات المسلمين أنفسهم قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية . فلما اقبلت هذه الفلسفة أو مايسمونه بالفتنة اليونانية بدأ المسلمون يوفقون بين ماالديهم من تفكير وحضارة دينية وبين هذه الفلسفة الدخيلة الطارئة . أي أن مصطفى عبد الرازق يرى أن الفلسفة الاسلامية لا تقتصر على فلاسفة الاسلام ، بل تلتمس كذلك في كفايات المتكلمين وعلماء الأصول . والفضل الأول لهذه المدرسة هو أنها وجهت النظر الى أصالة الفلسفة الاسلامية في العلوم الاسلامية الحقيقية : علم أصول الفقه وعلم الكلام ، أي أنها خطت خطوة كبيرة في سبيل التأصيل ووسعت مدار بحث الفلسفة الاسلامية الذي كان المستشرقون وأتباعهم من أصحاب التقليد يقصدونه على فلسفة المشائين المتابعين للفلسفة اليونانية ، فأصبحت الفلسفة الاسلامية تشمل علوما اسلامية حقيقية .

٤ ـ المدرسة الرابعة ويمثلها علي سامي النشار ، وبينما يتفق النشار مع مصطفى عبد الرازق في ضرورة تلمس عبقرية المسلمين الفلسفية في كتابات الأصوليين ؛ علماء أصول الدين وأصول الفقه ، فهو يختلف معه بعد ذلك في اعتبار وجود فلسفة اسلامية أصيلة أيضا في كتابات فلاسفة الاسلام .

ويرى النشار أن فلسفة فلاسفة الاسلام غير اسلامية ، مشائية في كلياتها وجزئياتها ، وأن الفلسفة في أية أمة انبعاث داخلي يعبر عن الروح الحضاري لهذه الأمة ، وليس من المعقول أن تتشابه الانبعاثات الداخلية العقلية لأمتين مختلفتين أشد الاختلاف جنسيا وعقليا ولغويا : هما الأمة الاسلامية والأمة اليونانية ، وأن فلسفة أمة من الأمم لا تخرج عن دائرة « السنة » التي تضعها هذه الأمة ومن خرج على هذه السنة لفظ حتما من دائرتها ولم يعد يمثل فلسفيا سوى فكره الذاتي . وهذا ما حدث لفلاسفة الاسلام ، فما كان « تكفير » هؤلاء باسم الاسلام سوى ثورة فكرية للروح الفلسفية الأصيلة ازاء فلسفة دخيلة لم تنقدح في أعماق الشعب المسلم (٥) .

وقد أثبت النشار في كتاب آخر له (٦) أن العقل اليوناني يختلف تماما عن العقل العربي ، وأن المسلمين قد رفضوا رفضا قاطعا المنطق الأرسطي ، وأن لهم منطقا تجريبيا في علم أصول الفقه خاصة يعتمد على المنهج التجريبي الذي نسب خطأ الى فرنسيس بيكون ، بينما حضارة اليونان تعتمد على المنهج القياسي .

ويمكن عند هذا الحد أن نخلص الى ما يأتي :

١ ـ الحضارة الاسلامية هي الحضارة الوحيدة من بين الحضارات جميعا التي ارتبطت بالدين وانبعثت عنه وانبنت عليه ٠ بل ان هذه الحضارة مدينة للاسلام بكل شيء ، اذ لولا العقيدة الاسلامية لما كان للعرب أي شأن ٠ وقد حدث هذا حينما ابتعدوا عن الدين فصاروا عزلا من أهم وأمضى أسلحتهم ٠

٢ ـ أن الحركة العلمية عند المسلمين كانت حركة أصيلة ، بدأت قبل بدء حركة الترجمة ، وكانت تستهدف فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ فالأصل كتاب وسنة وما تفرع عنهما من أصول وفقه ، وما احتاجوا اليه للدفاع عن عقائدهم وهو علم الكلام أو أصول الدين ٠ وقد احتاج فهم كتاب الله الى علوم اللغة والأدب ، فنشأت هذه أصلا لخدمة علوم الدين ولذلك ألحقت بها ، وعلم التاريخ نشأ فرعا لعلم الحديث ، اذ بدأت نشأته بالسيرة النبوية وهي حديث ، كما أن منهج علماء الحديث قد ساد العلوم الأخرى من تفسير وقراءات وتاريخ (في عهده الأول) ٠ ومنهج علم الحديث هو الرواية أو الاسناد ، ولذلك اهتموا بالراوي أو الناقل منشأ علم الرجال ٠

٣ ـ المنهج العقلي السابق يعتمد على النصوص الثابتة ٠ فلما كانت العقيدة الاسلامية غضة والاسلام وليدا والفطرة سليمة لم يحتاجوا الى التعقل ٠ ولما بدأت الأفكار الدخيلة في القرن الثاني تترجم وتتداول كان موقف الاسلام منها واضحا ويمثله موقف الامام أحمد بن حنبل من مسألة خلق القرآن ٠ وظل المنهج العقلي هو الممثل للروح الاسلامية الحقة ، ورفض الفكر الاسلامي كل دخيل ٠

ولذلك فان الفلاسفة المتابعين للفلسفة اليونانية لم يصدروا عن الاسلام ، ومن ثم فهم لا يمثلونه : هم تلاميذ في مدرسة يونان ، ومهما قيل عنهم ومهما نسب اليهم فهم لا يزيدون عن هذا الحجم ٠ وما أشبههم بتلاميذ العصر الحديث المفتتنين بالأفكار الغربية الحديثة ٠

وقد ظل الفكر الاسلامي يرفض الآراء الدخيلة ، حتى ما اصطنعه المتكلمون من آراء عقلية لتأييد مذاهبهم ٠ والأمثلة والشواهد كثيرة : موقف الامام الشافعي من علم الكلام وذمه له ، موقف الامام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن ، قتل الحلاج بسيف الشرع ، تكفير ابن رشد واحراق كتبه ، فتوى ابن الصلاح بتحريم الاشتغال بالمنطق ، وهكذا وهكذا ٠

التصنيف الاسلامي :

لقد كان هدفي من دراسة مدارس الفلسفة الاسلامية أن قضية التصنيف مرتبطة بالحياة العقلية ، والحياة العقلية لأمة انعكاس لفلسفتها ، والفلسفة الاسلامية نابعة من الاسلام أي من العلوم الاسلامية الحقة · واذا كانت الفلسفة هي تجريد لحياة الفكر التي تحياها أمة من الأمم ، فان التصنيف تجريد التجريد ، أي هو تجريد للمعرفة في صورة رؤوس الموضوعات التي تعالجها تلك المعرفة · ومن ثم فان اطار التصنيف وتنظيمه يجب أن يتبع اطار المعرفة وتنظيمها ·

ليست القضية هي اذن مجرد ترتيب لعدد من الأقسام الرئيسية في خطة التصنيف ، بل هي أعمق وأخطر من هذا بكثير ، هي تجريد للثقافة الاسلامية في صورة الموضوعات التي تهتم بها هذه الثقافة · واذن فلو اتخذنا أي ترتيب من الترتيبات التي اصطنعتها الخطط المختلفة فكأننا نقلنا صورة للحياة العقلية لأمة من الأمم وطبقناها على الحياة العقلية للأمة الاسلامية . وفي هذه الحالة يجب أن تكون الأمتان متماثلتين ، فهل هذا ممكن ؟ واذا كنا قد خلصنا منذ قليل الى تميز الثقافة الاسلامية وارتباطها بالاسلام ، فما هو أثر ذلك على التصنيف ؟ ·

اذا نحن حاولنا بحث موضوع التصنيف الاسلامي فسوف نجد موقفا مشابها جدا لموقف الفلسفة الاسلامية ، وقد وقع الكثيرون أيضا في خطأ كبير وهو اعتقادهم بأن التصنيف عند المسلمين يشبه تماما التصنيف اليوناني متمثلا في أرسطو · وهؤلاء اما من المستشرقين أو ممن حذوا حذوهم أو تأثروا بهم عن قصد أو غير قصد · وقد وقع أحد الباحثين في خطأ من هذا القبيل في رسالة للدكتوراة (٧) · ولهذا السبب ربطنا بين التصنيف وبين الفلسفة الاسلامية ، وخاصة وأن أوائل من ألفوا في التصنيف من المسلمين كانوا من الفلاسفة ·

ولسنا نريد أن نخوض في التفاصيل الدقيقة وانما نريد أن نخلص سريعا الى ملامح التصنيف الاسلامي ، وقبل ذلك لابد من نبذة عن أنواع التصانيف عند المسلمين وارتباطها بالفلسفة الاسلامية · وأسجل هنا أن الموضوع لازال بحاجة الى مزيد (٨) ·

أولا : هناك التصانيف الفلسفية الصرف ، مثل رسالة أقسام العقلية لابن سينا ، وتصنيف الفارابي في كتابيه : التنبيه على سبيل السعادة ، واحصاء العلوم ، ثم الكندي · وهذه التصانيف تشبه تصنيف أرسطو وخاصة ابن سينا والفارابي في التنبيه على سبيل السعادة · والمعرفة هنا هي الفلسفة

والعلوم أقسام للفلسفة . وقد أدخل الفارابي علمين من العلوم الاسلامية هما علم الفقه وعلم الكلام ضمن الفلسفة العملية .

وهؤلاء الذين يعتبرون أن الفلسفة الاسلامية هي فلسفة هؤلاء والفلاسفة يعتقدون في نفس الوقت أن تصنيفهم هو تراث العرب في الموضوع . ومن ثم لم يضيفوا شيئا الى اسهام يونان .

ثانيا : هناك تصانيف علماء الدين مثل الغزالي في احياء علوم الدين . فقد كتب الغزالي الباب الثاني : في العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها . ولا يقصد الغزالي هنا الى وضع تصنيف ولكن يمكن استشفاف نظرته الى العلوم . وفي هذا الباب تحليل طيب يوضح وجهة نظر علماء الدين في العلوم المذمومة والممدوحة ومايجب تعلمه ومالا يجب . وقد كان لهذا تأثير في كتب أخرى تالية فوجدنا السيوطي يؤلف كتابيه النقاية والدراية ويقصرهما على العلوم الشرعية بالمعنى الواسع ومعها الطب ، كما أن كثيرا من المؤلفات في مبادىء العلوم تقتصر على عدد أقل منها فهي تقتصر على أحد عشر علما فقط (٩) .

ويمكن أن نخلص الى أن الغزالي يجعل العلوم قسمين كبيرين :

١ ـ العلوم الشرعية وهي علوم الدين ، ويلحق بها العلوم اللغوية لاحتياج العلوم الدينية اليها ، وبعض هذه العلوم فرض عين ، وبعضها الآخر محمود . وهذه هي العلوم العربية الأصيلة .

٢ ـ العلوم غير الشرعية ، وهي علوم الفلسفة ، وبعضها مباح أو محمود مثل الحساب والهندسة والطب والفلاحة والحجامة والحياكة والسياسة .

فالطب ضروري لبقاء الأبدان ، والحساب ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها . وأصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات : كالفلاحة والحياكة ، بل الحجامة . وما عدا هذه العلوم فهو مذموم ومحرم .

ثالثا : هناك تصانيف العلماء الذين لم يكونوا أصلا من علماء الدين بالمعنى الضيق . ونخص منهم هنا الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب) وابن خلدون .

أما الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) فقد ألف كتابه مفاتيح العلوم ، وجعله معجما أو قائمة تضم المصطلحات الدائرة في الاستعمال لهذا العهد وأعطى تعريفاتها • وقد قسم العلوم قسمين كبيرين •

أحدهما لعلوم العرب أو العلوم الشرعية أو العلوم العربية •

والثاني لعلوم العجم أو العلوم الدخيلة أو العلوم الفلسفية •

وهو أول من يتوصل الى هذه القسمة فيما نعلم (الغزالي جاء بعده بما يزيد من قرن حيث توفى ٥٠٥هـ) • وهذه تعد بداية الفكرة العربية في التصنيف ، وهي التي جاءت واضحة فيما بعد عند الغزالي ، ثم أوضح عند ابن خلدون في القرن الثامن •

يقسم ابن خلدون في مقدمته العلوم قسمين :

العلوم النقلية ، وهم تضم العلوم الدينية واللغوية •

العلوم العقلية ، وهي تضم علوم الفلسفة •

وقد فرق ابن خلدون بينهما على أساس المنهج كذلك ، فهذه تعتمد على النقل عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول • والثانية تعتمد على العقل •

وقد خطا ابن خلدون خطوة أخرى في سبيل الوضوح ، وهي أنه يذكر أن العلوم الاسلامية النقلية مختصة بالملة الاسلامية ، وأن كل أمة لها مثل ذلك • وهذا يشير الى تقسيم سنعود اليه بعد قليل •

رابعا : تصنيف الببليوجرافيين • ونخص منهم هنا ابن النديم في الفهرست وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ، وكتاباهما في الحقيقة موسوعيان يضمان كل المعارف في عصريهما • ومع أن التركيز عندهما واضح على العلوم الشرعية الا أنهما في الترتيب النهائي لم يلتزما النسق الاسلامي • وربما كانا متأثرين الى حد كبير بالفارابي من حيث المعتقد (١٠) •

النظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة :

يمكن أن نحدد فيما يلي أهم ملامح النظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة ، والتي ينبني عليها ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية :

أولا : التصنيف تجريد لفكر الأمة في صورة الموضوعات التي تهتم بها وتنبع من ثقافتها ، ومن ثم فيجب أن يخضع تسجيل هذه الموضوعات وترتيبها لفكر الأمة ·

ثانيا : أن فكرة الأمة العربية الاسلامية ينبع من ارتباطها بالاسلام كعقيدة وسلوك ومنهاج متكامل للحياة من جميع زواياها · وعلى ذلك فان هذا يجب أن ينعكس في ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية ·

ثالثا : ليست القضية اذن مجرد عدد من الأقسام الرئيسية يختلف ترتيبها في الخطط الأجنبية ، وانما هي قضية أساسية لأنها تعبر عن تميز الفكر الاسلامي عن الأفكار الأخرى · وقد رأينا أن كل أمة تفضل أن يكون ترتيب الأقسام عندها انعكاسا لفكرها · وهذا من حق كل أمة ، وليس فيه من بأس · ولكن الخطأ هو تطبيق ترتيب وضع لثقافة مختلفة عن ثقافتنا دون وعي أو تبصر ودون دراسة لأصول ثقافتنا العربية الاسلامية · وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه أصحاب تعديلات عديدة ·

رابعا : التقسيم الاسلامي للعلوم ، وهو يتمثل بصورة واضحة في تصنيف الخوارزمي والغزالي وابن خلدون يمكن أن يكون أساسا نستهدي به في عملية الترتيب ، وهو تقسيم مفيد يجد له سندا من العلم والعقل واستقراء الأمور ·

خامسا : يمكن أن نحدد أهم خصائص هذا التصنيف فيما يأتي :

١ ــ أنه يقدم العلوم العربية الأصيلة ، وبهذا يربط خطة التصنيف العربية بالفكر الاسلامي الأصيل ، فتبدأ بعلوم الدين الاسلامي ، وقد ذكرنا من قبل أن الاسلام يجب أن يسبق العلوم الأخرى ·

٢ ــ أنه يربط العلوم اللغوية بالعلوم الدينية · والحقيقة أن علوم اللسان العربي من لغة وصرف ونحو وبلاغة ، الخ ، مرتبطة بالدين في التراث العربي ، وذلك لأسباب لعل أهمها :

(أ) أن هذه العلوم مقدمات او آلات لدراسة العلوم الدينية من قراءات وتفسير وأصول فقه خاصة ، وهذا ينصب أثره على الفقه أيضا ، اذ هو المصب الذي تصب فيه الدراسات الدينية جميعا · فعلوم الدين متوقفة في فهمها على علوم اللغة ، وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يفسر القرآن بالشعر العربي · لذلك لا عجب اذا وجدنا هذه العلوم تنشأ معا وتنفق سوقها في القرن الثاني الهجري ويظهر فيها عدد كبير من العلماء البارزين ·

(ب) واذا كانت علوم الدين تستفيد من علوم اللسان ، فان الأخيرة تستفيد بنفس الدرجة وربما أكثر ، فهناك ما يسمى بتبادل الاعتماد بينهما . فالقرآن الكريم هو المصدر الأول والأصلي لجامعي اللغة العربية ، وألفاظه الكريمة وتراكيبه اللغوية كانت معينا لا ينضب للغويين والنحويين ، وأساليبه التي جاءت في أعلى الذروة من البلاغة كانت ملاذ البلاغيين ... وهكذا ..

(جـ) لذلك لا عجب وجدنا مباحث من علوم اللغة وعلوم الدين مشتركة معا . فعلوم القرآن تضم كثيرا من المباحث التي تعد في الأصل لغوية أو بلاغية ولكنها ضرورية لتتميم الدراسات القرآنية ، وعلم دراية الحديث يضم كذلك مباحث لغوية ، وعلم أصول الفقه نصفه مباحث لغوية .

وهناك أيضا دراسات كثيرة تنصب على تأثر اللغة العربية وعلومها بعلوم القرآن : مثل تأثير القراءات في الدراسات النحوية ، وتأثير القرآن في الدراسات البلاغية .

٣ ـ لذلك فان من الضروري والمفيد أن ترتب علوم اللسان بعد علوم الدين .

٤ ـ العلوم الاسلامية العربية هي التي تعبر عن شخصية الأمة وخصوصياتها ، وهي كذلك عند كل أمة من الأمم ، ولذلك كانت هذه الشعبة من العلوم مثار المشكلات في أنظمة التصنيف الأجنبية ، ليس عندنا فقط ولكن عند الأمم الأخرى كذلك . أما العلوم العقلية بالمعنى الواسع فان منهجها واحد لأنها تتناول حقائق ونظريات واحدة ، والاجتهاد أو أعمال الفكر فيها يمكن أن يؤدي الى نفس النتائج مهما تعددت الأماكن والأزمان . هي تتناول حقائق كونية أو بدنية أو مادية لا تتقيد بتغير الأزمان والأماكن ، وانما الذي يتغير هو مدى ما نكتشفه منها ، وهو يتوقف بدوره على مدى معرفتنا وامتلاكنا لأسبابها من أجهزة علمية وامكانيات مادية ، الخ .. فالتفاوت هو في قدر معرفتنا بها وليس في حقائقها أو مظاهرها .

٥ ـ ولذلك فان هذه العلوم لم تكن مصدرا للشكوى والمتاعب . وحينما لجأ بعض العرب الى ترجمة موجز ديوي ، ترجموا دون تعديل الأقسام المتصلة بالعلوم والتكنولوجيات .

٦ – لا تتجاهل التصنيف الاسلامي للمعرفة العلوم العقلية ، وانما تدخل ضمن تقاسيمه ، فقد أفرد لها كل من الخوارزمي وابن خلدون شعبة مستقلة ، كذلك عالجها ابن النديم وطاش كبرى زادة . أما الغزالي فقد جعل بعضها كالطب والحساب من فروض الكفايات ، بل قدم تعلم الحساب على تعلم دقائق المسائل الفقهية اذا كان البلد يخلو ممن يجيدون الحساب .

٧ – ولذلك فيجب ألا يفهم من مناقشتنا عن موقف المجتمع الاسلامي من الفلسفة والمذاهب الدخيلة أننا ندعو الى نبذ العلم ، فهذا لم يخطر ببالنا ، ولكننا كنا نريد أن نوضح أن الأولوية يجب أن تكون لعلوم الدين وما يرتبط بها . أما ترك المفيد من العلوم فهو مالم نقصد اليه . ومن البديهي أن العلوم سيكون لها مكان في خطة التصنيف .

٨ – أن تصنيف العلوم العقلية يمكن الاستفادة منه من أي تصنيف آخر لأن هذه العلوم لا وطن لها وليست ملكا خاصا لأي أحد ، أما العلوم النقلية فينبغي أن تعد تصانيفها بالرجوع الى انتاج علمائها وتعرف طريقتهم في تسجيلها وتقسيمها وترتيبها . وهذا ما حدث بالفعل عند اعداد « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي » .

سادسا : اذا كانت هناك علوم محلية هي العلوم النقلية – ومعها الجغرافيا والتاريخ ، واذا كانت هناك علوم لا محلية هي العلوم والتكنولوجيات ، فان هناك طائفة أخرى من العلوم تقع بين هاتين الطائفتين وتضم بقية العلوم الاجتماعية والانسانيات . وهي علوم ذات طابع محلي ولكنها تستفيد في حقائقها من منجزات الآخرين كذلك . فالسياسة والاقتصاد والادارة والاجتماع تتسم بثنائية تجمع بين المحلية واللامحلية ، ويمكن أن نطلق عليها : العلوم شبه المحلية .

سابعا : الاطار العام الذي سوف ترتب تفاصيل الأقسام وفقا له هو اذن :

- العلوم المحلية وتشمل علوم الدين واللغة والجغرافيا والتاريخ .
- العلوم شبه المحلية وتشمل بقية الانسانيات والعلوم الاجتماعية .
- العلوم اللامحلية وتشمل العلوم والتكنولوجيات .

ثامنا : العلوم المحلية ذات طبيعة وطابع محلي في الترتيب تماما . والأخيرة يمكن أن يستفاد في ترتيبها من أية نظرية أو نظام . وشبه المحلية يمكن أيضا أن تكون ثنائية الطبيعة والطابع فيستفاد في تنظيمها من النظريات والأنظمة المحلية والأجنبية على السواء .

تاسعا : هذه الخطوط الرئيسية يمكن أن تكون أساسا لترتيب أية خطة تصنيف ، واذا ما طبقت فلن تكون هناك أية مشكلات في ترتيب الأنظمة ، لأن الشكوى كانت دائما من العلوم المحلية وشبه المحلية • ويمكن لأية أمة أن تقدم في الترتيب علومها المحلية وشبه المحلية مكان علومنا •

عاشرا : لم توجد خطة ولا يمكن أن توجد خطة تستطيع أن تحقق العالمية ، لأن هناك خصوصيات يجب أن نعترف بها في التصنيف : فلا يمكن أن توجد نظرية لترتيب الموضوعات ترضي كل الثقافات والعقائد : الغربية بفلسفتها وديانتها المسيحية وآدابها ولغتها وتاريخها وجغرافيتها ، الخ •• والاسلامية بدينها ولغتها وآدابها ، الخ •• ان معنى هذا هو أن تعالج هذه الخطة العالمية المزعومة المحليات بنفس الدرجة من الكفاية والتفصيل وأن تقدم الفئات المفضلة في كل الثقافات وهذا مستحيل •

حادي عشر : بعد المحليات والفئات المفضلة تأتي افكار التقارب الموضوعي المكاني أو الثقافي • فاللغات الاسلامية مثلا أقرب الى اللغة العربية وكذلك اللغات السامية الأخرى • والديانات السماوية أقرب من الديانات غير السماوية ، وهكذا • أي بعد تحديد الفئة الأولى وهي الاسلام والعربية ، الخ ، تحدد الفئة الثانية في كل موضوع من الموضوعات ثم الثالثة ، وهكذا •

ثاني عشر : هناك موضوعات ضمن اللامحلية ، ولكن قد يكون للمحليات فيها بعض الظلال ، مثل تواريخ العلوم ، خصوصيات في الأمراض (في الطب) في المؤسسات العلمية •• الخ • وهذه يمكن أن تراعى عند اعداد التفاصيل •

وقد قمنا بترتيب موجز الخطة العربية للتصنيف وفق الخطوط العامة السابقة ، ولا داعي للاطالة بذكر تفاصيل الترتيب ، أو بايراد موجز الخطة كاملا ، وانما سوف أعطى فقط موضوعات الشعبة الأولى من العلوم وهي العلوم المحلية مرتبة فيما بينها دون تعرض للتفاصيل •

علوم الدين الاسلامي
الاسلام عامة
علوم القرآن
علوم الحديث
علم أصول الفقه

وهذا هو ذات الترتيب الذي جاءت عليه في « التصنيف البيبليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي » وقد ناقشنا أساسياته في مكانها •

علم الفقه
علم الكلام او التوحيد او العقائد او اصول الدين
الفرق
التصوف
الاحياء والاصلاح الديني
فلسفات المسلمين

الفلسفة الاسلامية (المستمدة من الاسلام)
فلسفة الاسلاميين (مكان بديل في تاريخ الفلسفة – وهي الفلسفة المتأثرة بالفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات ، تشمل الفلسفة الحديثة) .
الدين والفلسفة
(يشمل الديانات المقارنة)

الديانات الأخرى

اليهودية
المسيحية
الديانات غير السماوية
علوم اللسان العربي

الأدب العربي } تفصل
اللغة العربية }

اللغات والآداب الأخرى

اللغات } تفصل
الآداب }
الجغرافيا والتاريخ

الجغرافيا (تشمل الجغرافيا العامة والسياسية فقط . فروع الجغرافيا الأخرى في العلوم البحتة) .
السياسة
جغرافية الوطن العربي
جغرافية البلاد المختلفة

التاريخ

علم التاريخ والتاريخ العام (يشمل تاريخ العالم وتاريخ الحضارة الانسانية)
المصادر التاريخية
التاريخ الاقتصادي
تاريخ الوطن العربي
تاريخ البلاد المختلفة

ثم تأتي بقية العلوم : شبه المحلية ثم اللامحلية . واذا كان قد تم اعداد تصنيفين الآن : للدين الاسلامي (علوم محلية) والتربية (علوم شبه محلية) فان بقية الخطة تبقى . وبقدر ما ننظم العمل ونسرع فيه بقدر ما نحل مشكلات المكتبات العربية . ولكن هذه قصة أخرى تحتاج الى تفصيل .

ملحوظة عن المصادر :

مصادر هذه الدراسة كثيرة جدا ومتنوعة لدرجة لا يمكن معها تسجيلها ، فهي تشمل مصادر في التصنيف وهي كثيرة ، ومصادر في الفلسفة الاسلامية ، ومصادر في موسوعات العلوم العربية ، ومصادر في تاريخ العلوم . ولذلك فسوف أكتفى بتسجيل الوثائق الأساسية التي تمت في الخطة العربية للتصنيف ، وبعض المصادر القليلة التي ترجمت الى العربية حتى اذا أريدت المتابعة أمكن ذلك . هذا علما بأن المصادر التي تلي بعد تضم في نهاياتها ببليوجرافيات متنوعة تفي بالغرض .

١ - عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . تجريب الخطة العربية للتصنيف ؛ علوم الدين الاسلامي . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٥ . وثيقة رقم ٤/١/٦/٤ تنفيذا لتوصيات مؤتمر الاعداد الببليوجرافي الأول (الرياض : ٢٤ نوفمبر/تشرين ثان - ١ ديسمبر/كانون أول ١٩٧٣) . ٦٧ ص . طبعة خاصة . ويعرض على مؤتمر الاعداد الببليوجرافي الثاني في بغداد في شهر أكتوبر ١٩٧٧ .

٢ - ________ . التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي ؛ دراسة في منهج اعداد أنظمة التصنيف مع تطبيقه في اعداد نظام تصنيف للدين الاسلامي . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ . ٦١٤ ص .

٣ ـ ———— . التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات . (تحت الطبع) .

٤ ـ ———— . التعديلات العربية للتصنيف العربي لديوى . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٤ . وثيقة رقم ٣/٧/١/٤ تنفيذا لتوصيات مؤتمر اعداد الببليوجرافي الأول بالرياض (انظر رقم ١) ٨٦ ص . طبعة خاصة .

٥ ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الخطة العربية للتصنيف ؛ الأسس والاطار العام . (تحت الطبع)

٦ ـ ———— . الخطة العربية للتصنيف ؛ تصنيف التربية والتعليم (تحت الطبع) .

٧ ـ ———— . الخطة العربية للتصنيف والببليوجرافيا الموضوعية العربية ودورهما في خدمة التراث العربي . مكتبة الادارة (الرياض) ، س ٤ ، ع ٣ ، صفر ١٣٩٦هـ/فبراير ١٩٧٦م . ص ص ٥ ـ ٣٨ .

٨ ـ ———— . دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف . رسالة الماجستير . كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ . ٣٠٠ ص .

٩ ـ ———— . مقترحات لجمع وخدمة التراث العربي . الثقافة العربية ، ع ع ، ١٩٧٦ . ص ص ١٩٦ ـ ٢٣٤ .

١٠ ـ ———— . نظم التصنيف في الوطن العربي ؛ المشكلات والحلول المقترحة . في : قرارات وتوصيات وبحوث مؤتمر الاعداد الببليوجرافي للكتاب العربي ، الرياض ، وزارة المعارف ، ١٩٧٣ . ص ص ١٥١ ـ ٢٤٧ .

تحقيقات :

١١ ـ طاش كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . ٤ مج . ويلاحظ أن المقدمة تحوي معلومات عن التصنيف عند العرب : جـ ١ ، ص ص ٤٣ ـ ٧٦ .

ترجمات :

١٢ ـ شيرا ، جيس وايجان ، مرجريت . الفهرس المصنف ، أسسه وتطبيقاته . ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . القاهرة/بيروت ، دار الوطن العربي ، ١٩٧٥ . ١٩٦ ص .

١٣ ـ فوسكت ، أ. س. تنظيم المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق . ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . تحت الطبع .

١٤ ـ ملز ، ج. نظم التصنيف الحديثة في المكتبات ؛ أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية . ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ . ٣٨٥ ص .

أعمال بيليوجرافية :

١٥ ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور (محرر) الببليوجرافيات الموضوعية العربية ؛ علوم الدين الاسلامي . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٦ ـ (من المقرر أن تصدر في ثمانية مجلدات وقد طبع منها حتى الآن ثلاثة . وتضم مقدماتها تحليلات وافية للخطة العربية للتصنيف وعلوم الدين الاسلامي خاصة . كما أنها نموذج طيب على تطبيق تصنيف الدين الاسلامي على عدد كبير من المقالات في علوم الدين الاسلامي ـ حوالي ٦٠ الفا من المقالات) .

الهوامش

١ ـ انظر العدد الرابع للسنة الثالثة من مجلة الدارة ص ٩٤ ـ ١١٣ .

٢ ـ توفيق الطويل : أسس الفلسفة . الفصل الخاص بالفلسفة الاسلامية .

٣ ـ علي سامي النشار . نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . ط٣ . جـ١ ، ص ٢٠ .

٤ ـ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية (مسندة في علي سامي النشار نفس المصدر) .

٥ ـ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام : ص ص ٦٤٢ ـ ٦٤٤ .

٦ ـ مناهج البحث عند مفكري الاسلام . الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٥ .

٧ ـ انظر تفاصيل المسألة في بحثنا : الخطة العربية للتصنيف ، الأسس والاطار العام . ص ص ٥٤ ـ ٥٦ .

٨ ـ انظر التفاصيل في المصدر السابق ص ص ٥٦ ـ ٧٠ . ولازال التصنيف الاسلامي بحاجة الى مزيد من التعميق .

٩ ـ انظر للتفاصيل : المصدر السابق .

١٠ ـ انظر المصدر السابق ، وانظر أيضا : مقدمة مفتاح السعادة .